خطبة الإمام الحسين عليه السلام في مِنى

ـ قراءة تأويلية ـ

الأستاذ الدكتور

حاكم حبيب الكَريطي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

Imam Al-Hussein's (a.s) sermon in Mena

interpretive study

Dr. Hakem Habib Al-Gariti
The College of Arts/ The University of Kufa

Abstract

This research is about Imam al-Hussein's sermon in Mena during the pilgrimage in 42 A.H. Imam Al-Hussein delivered his sermon to the pilgrims who had gathered to listen to his words for the good of their religion and life. The sermon was about the position if Imam Ali in Isalm by pointing toward his history, stability, courage, and knowledge. Imam Hosain used the Prophet's used the prophet's sayings which were showing Ali's position and meaning to lighten the auodiances' way in light and guide them to the straight path afther the people had been derived away from this way.

The Imam was asking them to bear witness they heard these sayings before either directly from the Prophet himself or his Companiona since they were all from the followers generation. Their confirmation was an admision to the right and the necessity of accepting foloowing him. This was exactly the Imam's intention as a preparation for his revolution his time would witness ater.

It is a must to point to the fact that the Imam was citing parts of the sayings as long as they achieved his purpose depending on the audiance knowledgw to recall the rest of them. As if he was pushing them to share him the sentiment in recalling the sayings he cited. In addition, he was putting more than one saying together as long as it served his idea.

العدد: الأول/ السنة الأولى، شعبان ١٤٣٦هـ – حزيران ٢٠١٥م

خطبة الإمام الحسين عليه السلام في مِنى

- قراءة تأويلية -

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكَريطي
كلية الآداب / جامعة الكوفة

المستخلص

يتناول هذا البحث خطبة الإمام الحسين عليه السلام في (مِنى) في موسم حج سنة ٤٢هـ، وقد خطبها الإمام الحسين عليه السلام في جموع الحجاج الذين اجتمعوا إليه ليسمعوا منه ما يصلح أمر دينهم ودنياهم. وتدور الخطبة بمجملها حول منزلة الإمام علي عليه السلام في الإسلام، من حيث سابقته وثباته وشجاعته وعلمه، وقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام الأحاديث النبوية الشريفة التي أظهرت تلك المكانة وبيّنتها بما ينير طريق السامعين ويهديهم إلى سواء السبيل، بعد أن مالت الأهواء بالناس وأبعدتهم عن طريق الحق. وقد استشهد الإمام عليه السلام الحاضرين في كل ما يقوله. لأنّهم إمّا سمعوا تلك الأحاديث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم -بشكل مباشر- أو عن طريق الصحابة، إذا كان السامع من جيل التابعين -وكان تأييدهم لما يقول عليه السلام اعترافاً بالحق ووجوب التمسك به- وهذا ما أراده الإمام عليه السلام وكأنه يمهّد لما سيقوم به من نهضته التي يعرف زمانها فيما بعد.

ولا بُدّ من الإشارة هنا إلى أن الإمام عليه السلام في الأحاديث النبوية التي استشهد بها، كان يأتي بجزء من الحديث الشريف بالقدر الذي يحقق ما يريده، معتمداً على المتلقين في استحضار بقية الحديث، وكأنّه عليه السلام يدفعهم إلى مشاركته الوجدانية في استحضار الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها، هذا فضلاً عن أنّه عليه السلام كان يجمع دلالة أكثر من حديث في حديث واحد ليقدّم لمتلقيه ما يريده من فكرة تتجلى في ذلك كلّه.

خطبة الامام الحسين عليه السلام في منى

يتناول هذا البحث خطبة من خطب الإمام الحسين عليه السلام، خطبها في موسم الحج في منى سنة ٤٢هـ على الأرجح، وطلب من سامعيه أن ينقلوا ما يسمعوه إلى من يثقون به بعد عودتهم إلى أوطانهم، وجعل الخطبة أسئلة تقريرية يقولها أمامهم ليدفعهم إلى تذكر الأحاديث النبوية والوقائع التاريخية التي شكلت شواهد على إمامة الإمام علي عليه السلام وولايته على المسلمين، تلك الولاية التي انتقلت بعد رحيله إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام، وانتقلت منه بعد شهادته إلى الإمام الحسين عليه السلام ليخرج من ذلك كلّه إلى بيان ما حلّ بأهل البيت عليهم السلام وبمواليهم، ممن تسنّموا شؤون الدولة الإسلامية عصرئذ، ليصل من ذلك كلّه إلى تبصير المسلمين وتنبيههم على أهمية التمسك بموالاة أهل البيت عليهم السلام، والدفاع عنهم، كي يوفّروا لهم مناخاً لإقامة دولة العدل الإلهي التي كلفهم الله تعالى بإقامتها ما أمكنهم ذلك.

واستناداً إلى هذا سنقرأ خطبة الإمام الحسين عليه السلام هذه قراءة تأويلية تقوم على النظر بتأنٍ في النصوص، والوصول إلى المعاني التي تختبأ خلفها، ثم الوقوف على مراد الإمام الحسين عليه السلام من ذلك، ففضائل أمير المؤمنين عليه السلام يعرفها المسلمون كلّهم، ولكنَّ استحضارها على النحو الذي جاء في الخطبة، يُعطيها وظيفة دينية جهادية تُبصّر المسلمين بما عليهم أنْ ينهضوا به.

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبته المشار إليها: ﴿**أما بعدُ، فإنّ هذا الطاغية، قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم**﴾[1].

لم يسمِّ الإمام عليه السلام في أول جزء من خطبته الطاغية باسمه، وإنما اكتفى بذكر الصفة التي أسبغها عليه، وجعلها عنواناً بارزاً دالاً على شخص بعينه، لمعرفته بأنّ المتلقين يستقبلون الدلالة على وجهها الصحيح دون أن يلتبس عليهم اسم الشخص الذي يريده عليه السلام بهذا الوصف.

أما ما فعله بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فذاك ما لم يخف على السامعين، فهم رأوه وعلموه وشهدوه. واستعمال الإمام عليه السلام للأفعال الثلاثة (رأى ــ علم ــ شهد)، يظهر ثبات ما وقع لهم، وعليهم من الشخص المشار إليه بالرؤية والعلم والشهادة، وهذا هو اليقين بعينه، فترسّخ ذلك في وجدانهم، وجاءت إشارة الإمام عليه السلام هذه، لتهيء لهم استحضار ما فُعل بأهل البيت عليهم السلام وبأتباعهم مما لا يتسق مع ما أمر الله تعالى به من مودتهم، في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى/ ٣٢، فأهل البيت عليهم السلام هم المأمور بمودتهم في هذه الآية[2] واستناداً إلى هذا التوجيه، فإن إشارة الإمام الحسين عليه السلام لا تقتصر

على إظهار بشاعة ما فُعل بأهل البيت عليهم السلام، وإنما هي تجسيد لبيان أنّ ذلك الفعل على بشاعته، مخالفٌ لما أمر الله تعالى به، وهنا تتحرك النوازع الوجدانية في نفوس المتلقين من أجل الانتصار لما يريده الله تعالى من نصرة أهل البيت عليهم السلام.

وبعد أن رأى الإمام الحسين عليه السلام أن هذا التوصيف الذي لفت إليه أنظار سامعيه، قرّ في نفوسهم، شرع بتوجيههم إلى الموازنة بينه عليه السلام وبين المعنيِّ بخطابه من خلال أسئلة يبسطها أمامهم لتثير في نفوسهم شعوراً بالتمسك بدعوة الحق التي يمثّلها أهل البيت عليهم السلام، ونبذ الدعوة الثانية التي طغا صاحبها وتجبّر، وتجاوز القدر، فقال عليه السلام: ﴿... **وإنّي أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صَدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذّبوني**﴾[٣].

فقبل أن يسأل عليه السلام، طلب ممن يسمعه أن يصدقه إذا صدق، ويكذّبه – وحاشاه- إذا كذب. ومعلوم أنّ الكذب منفي عن الإمام بعصمته وولايته، ولكنّه أثر هذا التعبير ليعطي السامع النّصفة من نفسه، ويردع من يريد أنْ يتقوّل عليه من الخصوم، إن كان بعضهم قد حضر، لأنّ (مِنى) في المرسوم مجمع للجميع، فإذا استمع الجميع إلى قوله ولم يجدوا كذبة في قوله، ألزمهم بالتمسك بدعوته والدفاع عنها، لأن هذا من شأن المسلم الذي يتوخى الحق ويطلبه، ويمقت الباطل ويبعد عنه واستناداً إلى هذا أتمّ الإمام الحسين عليه السلام قوله في هذا الإطار فقال: ﴿**اسمعوا مقالتي و اكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس، ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا**﴾[٤].

ومقالته عليه السلام التي يدعو إلى سماعها، تحمل فكراً وعقيدة، ومادام الأمر هكذا، فالسماع لا يقتصر على السماع بالإذن، وإنما يعني قبول المقالة والعمل بها والاستجابة لها على وفق ما يؤديه الجذر(سمع) من معانٍ. أما كتابة القول هنا، فقد يكون مراد الإمام عليه السلام أن يكتبوها حقاً لأهميتها وحاجتهم إليها في زمانهم وبعده فتحفظ بالكتابة، وأما أن يكون المراد أنها تُحفظ وتُتدارس حتى يكون حفظها بمثابة الكتابة لها، لأنهم بحاجة إليها إذا عادوا إلى أمصارهم وقبائلهم، وهنا سيبحثون عمّن يأمنونه من الناس، ويثقون به، فإذا وجدوه دَعَوهُ إلى حقّ الإمام عليه السلام وأهل بيته، وسيستشهدون بمقالته التي سمعوها، ليرسخوا في نفس السامعين ما ترسّخ في نفوسهم عن حقّ أهل البيت عليهم السلام.

ويتم الإمام عليه السلام وصيته بقوله ﴿**فإنّي أتخوّف أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويُغلب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[٥]، فالإمام عليه السلام يخشى أن يدرس حقهم المأمور باتباعه من قبل الله تعالى، ويُمحى ولا يبقى له أثر، لأنّ ذهابه يعني ذهابَ الحق كلّه، ولا يقومُ الحق مطلقاً إلّا باتباعهم، وعلى وفق هذا

التصوّر الذي يقدمه الحسين عليه السلام، لم تعد المطالبة بحقهم أمراً شخصياً أو أُسرياً، وإنما هو الركيزة التي ينهض عليها الدين.

ومن هنا يكون تخوف الحسين عليه السلام من أجل الدين كلّه، بعد أن ارتبط بحقهم. وهذا الجزء من وصية الإمام، يحقق أمرين على السواء، الأول: الاستمرار في المطالبة بحقّ أهل البيت عليهم السلام من قبل اتباعهم، أما الأمر الثاني فينتجه الأمر الأول، وهو أن هذه المطالبة تعني السير في الصراط المستقيم الذي يريده الله تعالى لعباده. وهنا لابد من استحضار قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**رحم الله علياً، اللهم أدر الحقَّ معه حيثما دار**﴾[٦]، فيكون على وفق هذا الحديث وغيره، إنّ الحقَّ مقرون بأهل البيت عليهم السلام، فالمحافظة على حقهم، محافظة على الحقّ كله.

وحقّ هنا للحسين عليه السلام أن يتخوف على اندراس أمرهم. بيد أنّه عليه السلام أتمَّ وصيته بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصف/ ٨، والنور هنا هو الدين المحمدي الذي يمثل الكمال الذي أراده الله تعالى له، وهو ما يُمثّله أهل البيت عليهم السلام، وهذه إشراقة أمل جاء بها الإمام عليه السلام بعد أن أظهر تخوّفه على الدين، لأن الله تعالى تعهد بإتمام نوره أو دينه، وهذه دعوة إلهية ذكّر بها الإمام عليه السلام أصحابه حتى لا تفتر عزائمهم، لأن إتمام النور يحتاج إلى مثابرة وجهاد وبُعد عن الركون إلى الطغاة.

﴿**والله يتم نور الإسلام ويبلغ غايته وإن كره ذلك الكافرون الجاحدون لنعم الله**﴾[٧].

بيد أن الإمام عليه السلام لم يذكر زماناً ينتهي فيه تخوّفه، ويتم الله تعالى نوره فيه، وهنا نجيب، بأنّ الراجح إنّ ما يريده الله تعالى في أتمام النور، هو خروج القائم من آل محمد عليهم السلام، فقد ورد في تفسير القمي بعد ذكر الآية ((... بالقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا خرج يظهره الله تعالى على الدين كله حتى لا يُعبد غير الله، وهو قوله عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))[٨].

وبلحاظ هذا التوجيه تكون(الإمامة) هي النور الذي يُتمّه الله تعالى والذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بالآية المباركة، وقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام ما يؤيد هذا، فقد سأله أحد أصحابه عن دلالة الآية المشار إليها ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ قال عليه السلام: ﴿**والله متم الإمامة، والإمامة هي النور وذلك قوله (عز وجل) آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا، قال: النور هو الإمام**﴾[٩].

ثم يبدأ الإمام الحسين عليه السلام أسئلته لمن اجتمع من الحجاج وحضروا أمامه، بصيغة الاستفهام التقريري[١٠]، إذ يستفهم لكي يُقرَّ في النفوس ما يريد ذكره مما يعرفه المخاطبون ويقرّون به، فقال ﴿**أنشدكم الله، أتعلمون أنّ عليَّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله، حين آخى بين**

أصحابه، فآخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة﴾ **قالوا:** اللّهم نعم[١١].

يستدعي الإمام الحسين عليه السلام أمراً يعرفه المخاطبون تماماً، وهو أخوّة النسب أولاً، والأخوة الأسرية ثانياً، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تكفّله عمّه أبو طالب بعد وفاة أبيه وجده، وصار أخاً لعلي عليه السلام مرتين، إذ تربى في حجره، وهذه أخوّة روحية تركت أثرها في نفس أمير المؤمنين عليه السلام، أما الأخوة الأخرى التي أشار إليها الإمام عليه السلام، فهي الأخوةّ الربانية التي يمثلها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليه السلام: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرةّ، فهذه الأخوة إذاً فضل من الله تعالى على أمير المؤمنين إذ جعله بهذه المنزلة، وهذا المقام، ولم يقتصر الأمرُ على المؤاخاة، فالمؤاخاة جاءت لتجسيد الأخوة السابقة التي يعرفها الجميع. ومن هنا ندرك تكرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإشارة إلى هذه الأخوة فقد ورد في الأثر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: ﴿**ذات يوم وهو في مسجد قباء والأنصار مجتمعون، يا علي أنت أخي وأنا أخوك...**﴾[١٢].

ويبسط الإمام الحسين عليه السلام الحقيقة الأخرى بصيغة الاستفهام نفسه فيقول: ﴿**أنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله اشترى موضع مسجده ومنازله، فابتناه ثم ابتنى فيه عشرة منازل تسعة له، عاشرها في وسطها لأبي، ثم سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلّم في ذلك من تكلّم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه**﴾[١٣].

استحضر الإمام الحسين عليه السلام في سؤاله التقريري هنا واقعة تاريخية، تتمثل في بناء مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومساكنه ومسكن الإمام علي عليه السلام، وهذه القضية اشتهرت بين المسلمين أيضاً، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك منذ أول يوم دخل فيه المدينة مهاجراً، فقد ورد أنّه أمر مستقبليه من الأنصار أن يتركوا ناقته فإنها مأمورة وسينزل حيث ينزله الله تعالى، فبركت الناقة في باب أبي أيوب الأنصاري[١٤]، فبنى مسجده ومساكنه ومسكن الإمام علي عليه السلام، وهو بَعدُ في مكة، وجعل الأبواب إلى المسجد[١٥].

وهنا لا بد من الإشارة إلى انّه صلى الله عليه وآله وسلم لا يصدر منه فعل إلّا بأمر من الله تعالى أيّاً كان الفعل صغيراً أم كبيراً، لأنّ المسلمين يتمثلون سيرته في كل آنٍ، وأية إشارة أو كلمة منه صلى الله عليه وآله وسلم تكون وجهاً من وجوه الحياة الإسلامية الجديدة، فما بالك وهذا التوجه الذي نحن في شأنه، يعني تقديم علي عليه السلام على غيره من المسلمين، ولفت نظر المسلمين إلى هذه القضية التي لا يقبل فيها الأخذ والرد.

وبناء البيت وفتح بابه على المسجد، أمرٌ من الله تعالى. ولمّا اعترض بعضهم على سدّ أبوابهم، جاء جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعاً، بأن الله تعالى أمره

أنْ يسدّ أبوابهم ويبقي باب علي مشرعاً[١٦]، والملاحظ هنا إنّ الإمام الحسين عليه السلام ذكر بعضاً من تفاصيل هذه الواقعة التاريخية، وخاصة ما يتعلق منها باعتراض بعض المسلمين على فتح باب بيت الإمام عليه السلام على المسجد. ليؤكد من خلالِ ذلك كلّه، إنّ من اعترض كان مرتاباً بما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يتناسب مع مقام النبوة، وعلى الرغم من ذلك، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعبأ بالاعتراض؛ لأنه مأمور بهذا من الله تعالى، ولا يحق لأيّ مسلم إلّا التسليم بما يُقرّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من دون أن يكون للهوى أو الحب أو الكره مكان في ذلك كلّه. وهذا ما يجعل السامعين في دائرة التسليم نفسه، لأهل البيت عليهم السلام، وللحسين عليه السلام بخاصة لأنه الذي يُمثلهم في هذا الموقف.

ويتم الإمام الحسين عليه السلام بسط تفاصيل أخرى لهذه القضية فيقول: ﴿... **ثم نهى الناس أنْ يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله، فولد لرسول الله وله فيه أولاد**﴾[١٧].

وهذه منقبة أخرى من المناقب التي خُصَّ بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام، تكرمة من الله تعالى لهما، ورفعاً لشأنهما بين الخلق في الدنيا والآخرة، ونحسبُ هنا إنّ أهل البيت عليهم السلام مُطهّرون طهارة خاصة بهم، وآية التطهير تجسد هذا الطهارة المشار إليها، في بعض وجوه تأويلها على ما نعتقد، لأنّ من معاني(الرجس): القَذَرْ، فضلاً عن الحرام والفعل القبيح واللعنة والكفر[١٨]، وهذه المعاني كلّها طُهّر منها أهل البيت عليهم السلام، فصارت حالتهم التي أشار إليها الإمام لا تتعارض مع حرمة المسجد، لأنّ المسجد وضع لعبادة الله تعالى، وهم مُطهّرون منه (جلّ شأنه) فصار الحكم خاصاً بهم، ولا يحق لغيرهم أنْ يكون له، فقد جاء في الحديث الشريف: ﴿**لا يحلّ لأحد أنْ يجنب في المسجد إلّا أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين. ومن كان من أهل بيتي فإنّه مني**﴾[١٩].

ويلتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى مكرمة أخرى من مكارم أمير المؤمنين، فيقول متسائلاً ومرسّخاً في النفوس ما يريد ﴿**أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله نصبه يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، وقال: ليبّلغ الشاهد الغائب**﴾[٢٠].

لم يشأ الإمام الحسين عليه السلام هنا أنْ يعرض تفاصيل بيعة الولاية في يوم الغدير، وإنما آثر أن يذكّر المخاطبين بالقضية العامة التي رسّخها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم. وهي (ولاية الإمام علي عليه السلام) على المسلمين، وترك لهم حرية التدبّر فيما تعنيه(الولاية) التي أمر بها النبي وخصّ بها علياً عليه السلام.

تُهيّء لنا العودة إلى معاني الجذر(ولي) في المعجم دلالات[٢١] الولاية التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام بإشارته، وهي في مجملها تعني: إن الولي يملك القدرة والفعل بما يجعله قادراً

على تدبير شؤون من اتخذه ولياً، وفي الوقت نفسه يكشف هذا المعنى عن إيمان المولى، وهو التابع والمحب بقدرة الولي الذي اتبعه على تدبير شؤونه فسلّم له أمره مؤمناً بصواب منهجه[٢٢].

واستناداً إلى هذا، فلا يبقى مجال للاجتهاد في فهم ولاية الإمام على المسلمين،لأنّها تخصّ كمال الدين وإتمام النعمة التي أشار إليها قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ المائدة/ ٣، فإذا استحضرنا زمن نزول الآية ومناسبتها، يتبيّن لنا جدوى ما قلناه، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس إلى غدير خم بعد عودته من الحج، ونادى علياً عليه السلام وأخذ بيده ورفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابطيهما ثم لم يفترقا حتى نزلت الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب رسالتي والولاية لعلي**﴾.

ويمضي الإمام الحسين عليه السلام في متابعة وصيته للمسلمين، من أجل التمسك بحق أهل البيت عليهم السلام فيقول ﴿**أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله قال له في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأنت ولي كل مؤمن بعدي**﴾، قالوا: اللهم نعم[٢٣].

يريد الإمام الحسين عليه السلام بإشارته إلى هذا الحديث، أنْ يُحيي في النفوس ما قرَّ فيها من قبل بشأن منزلة الإمام علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تلك المنزلة التي يُجلّيها هذا الحديث، فلم يكن هارون أخاً لموسى عليه السلام فقط، وإنما كان وزيره ومعينه وخليفته في أهله، ولو قدّر لهارون العيش بعد موسى لكان خليفته بعد موته[٢٤]. وفي هذا بيان لما يريده الإمام الحسين عليه السلام من الإشارة إلى حقّهم والحديث به وعَنه.

بقي أنْ نشير إلى أن الإمام الحسين جمع حديثين في إشارته هذه، إذ إنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وأنت ولي كل مؤمن بعدي**﴾[٢٥]، جاء مستقلاً عن حديث هارون من موسى في أغلب المصادر التي ذكرته، ولكنّه عليه السلام أوردهما كالحديث الواحد لشدة ارتباطهما ببعضهما.

فعلي عليه السلام له ما للنبي على المسلمين صلى الله عليه وآله وسلم ـ عدا النبوة ـ وفي مقدمة ما له (الولاية)، فهو أولى بالمسلمين من أنفسهم. قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأحزاب/ ٦، وعلي له الولاية على المسلمين بحديث الغدير السابق وبهذا الجزء الذي ذكرناه. واستناداً إلى هذا، يتوحد الحديثان في الإشارة إلى ولاية الإمام عليه السلام على المسلمين.

وتذكير الإمام الحسين عليه السلام لمن حضر مقامه في (منى) يلزمهم بالتمسك بهذه الولاية، بهذا الحق الذي خشي عليه أن يدرس بمرور السنين، ويمكن لي ـ ولك ـ إن شئتَ أن تتصور أن الإمام الحسين عليه السلام يمهّد لنهضته -فيما بعد- بتبصير المسلمين بالواجب الذي يحتّم عليهم أنْ

يقوموا به لو قيّض لهم الله تعالى من أهل بيت نبيّه من يسعى إلى ذلك.

ويضع الإمام الحسين عليه السلام أمام الحاضرين حادثة المباهلة أيضاً بقوله: ﴿**أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأتِ إلّا به وبصاحبته وابنيه**﴾، قالوا: اللهم نعم[٢٦].

أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يرد على نصارى نجران ليثبت حقه في النبوّة وبدلّ على أنهم كانوا معاندين له، إذ لا حجة لهم في دعواهم، وحجته صلى الله عليه وآله دامغة عليهم، دعاهم إلى المباهلة على وفق ما جاء في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا...﴾ آل عمران ٦١، ومن هذا الأمر الإلهي نفهم كيف عبّر الله تعالى عن أهل البيت عليهم السلام في خروجهم للمباهلة، فالحسن والحسين عليهما السلام هما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله في ظاهر لفظ الآية، وفاطمة عليها السلام هي التي عبّرت عنها الآية بنسائه، وعلي عليه السلام هو المعبّر عنه بنفسه، لأن الداعي لا يدعو نفسه وإنما يدعو غيره ((وجعله الله تعالى نفس نبيّه صلى الله عليه وآله إعظاماً لمحلّه ورفعة له على سائر خلق الله تعالى، لأن نفس رسول أشرف الأنفس وأعظمها قدراً عند الله تعالى))[٢٧].

إنّ أهل البيت عليهم السلام الذين أخرجهم صلى الله عليه وآله للمباهلة هم الأقرب إلى الله تعالى على وفق ما جاء في الآية الكريمة، والواقعة، ولو كان غيرهم أقرب إلى الله وأصلح لدينه وللمسلمين، لكان التوسل بهم أولى من غيرهم. أما وقد كان هؤلاء عليهم السلام هم العماد في المباهلة صار حقاً على المسلمين نصرتهم والتمسّك بحقهم. لأن النصرة تكون لله، والتمسك بحقهم يكون تمسُّكاً بدين الله تعالى.

وتحضر وقعة (خيبر) في خطبة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها شاهداً من شواهد الكرامات التي خُصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يقول عليه السلام ﴿**أنشدكم الله: أتعلمون أنّه دفع إليه اللواء يوم خيبر ثم قال: لأدفعه إلى رجل يُحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كرّار غير فرار يفتحها الله على يديه**﴾، قالوا: اللهم نعم[٢٨].

إنّ استحضار الإمام عليه السلام لواقعة خيبر بهذا الإيجاز، يحقق في اذهان المتلقين حضوراً للتفاصيل التي يعرفوها مشاهدة أو سماعاً، ويدفعهم إلى التركيز على ما أوجزه من دون إهمال لما عداه.

ومن النظر في ما أورده الإمام عليه السلام، نستخلص تركيزه على ثلاثة أجزاء من الواقعة:

الأول: محبة الإمام عليه السلام.

الثاني: شجاعته.

الثالث: يكون الفتح على يديه.

يمثل الجزء الأول من حديث النبي ﷺ، شهادة ربّانية بأن الله ورسوله ﷺ يحبّان علياً عليه السلام، وهو يحبهما، وهذه الشهادة توجب على المسلم محبة علي عليه السلام، لأن إسلامه يحتّم عليه ذلك، بل من تمام الإيمان أن يفوز العبد بمحبة ربه وبمحبة رسوله ﷺ، وهذا كلّه لا يتحقق إلّا بمحبة أمير المؤمنين عليه السلام. واستناداً إلى هذا صار الدفاع عن حق أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم واجب على كل مسلم ومسلمة، فإذا أصيب المسلم بمكروه جزاء دفاعه عنهم، وقع أجره على الله تعالى، وهنا يظهر أمامنا قول آخر للنبي ﷺ ﴿**من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً**﴾[٢٩]، فهو يُعطي للمحبة ميداناً تتحرك فيه، ولا تبقى مشاعر فقط يحملها الإنسان، وعلى الرغم من أهمية هذا الوجه (حمل المشاعر)، فإنّ تجسيدها في المواطن التي يُحتاج إليها فيها هو الأصل الذي يُعوّل عليه[٣٠].

أما الجزء الثاني الذي أشار فيه النبي ﷺ إلى شجاعة الإمام عليه السلام، فيمثّله قوله ﴿**كرار غير فرار**﴾. والذي يؤدي إليه هذا التوصيف، هو استذكار شجاعة الإمام عليه السلام في المواطن كلّها من جهة، واستذكار نكوص من نكص قبله في هذه المعركة من جهة أخرى، فمعلوم أنّ النبي ﷺ أعطى الراية من قبل لبعض المسلمين، فعادوا يجبّن بعضهم بعضاً من دون أن يقفوا على أقدام ثابتة في مواجهة اليهود[٣١]، وما إعلانه بأنه سيعطي الراية لرجل من المسلمين بهذه الصفات إلّا ليجعل الجميع يتمنى أن يحظى بهذا الشرف، وإن لم يقوَ على مقارعة الخصوم، ولكن المكانة التي جعلها النبي ﷺ لمن سيندبه أنست الجميع ما يُراد منهم ولو إلى حين.

لقد دعا النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام وكان أرمد، فمسح على عينيه وغار منهما الرمد، وأخذ الراية، والمسلمون جميعاً يشهدون هذا كلّه، وتوجه إلى الميدان.

إن ما قاله النبي ﷺ وما فعله علي عليه السلام، يظهر تقديمه وتعظيمه بالصفات التي وصفها به، على من تقدمه، ممن أعطي الراية قبله، وعلى باقي المسلمين ممن لم يُعطوا الراية.

ولعلّ هذا الذي نذكره هو الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام في إشهاد من حضر خطبته على تفاصيل هذه الحادثة، لأنها ليست واقعة حربية تاريخية، وإنما واقعة تتصل بالعقيدة الإسلامية، فما يفعله الرسول ﷺ يمثل منهجاً ربانياً يريده للمسلمين، وتعظيم علي عليه السلام على وفق هذا التصور، هو منهج رباني، أراد النبي ﷺ أن يطلع المسلمين عليه من خلال استثمار هذه الحادثة، وهذا عينه ما أراده الإمام الحسين عليه السلام.

أما الجزء الثالث، فتمثل في أنّ الفتح كان على يدي الإمام علي عليه السلام، وقد تحقق ذلك بدعوة النبي ﷺ، إذ دعا له بقوله وهو يعطيه الراية ﴿**اللهم أذهب عنه الرمد والحر والبرد وانصره على عدوه، فإنّه عبدك يُحبك ويحبّ رسولك، ثم دفع إليه الراية**﴾[٣٢].

ومن النظر في كتب التاريخ يتبيّن لنا قيمة النصر الذي حققه في خيبر، فقد كان قلع باب حصن (القموص)، وقتل مرحب اليهودي، إيذاناً بفتح الحصون الخمسة الأخرى، حيث يتحصن فيها عشرون ألف مقاتل(٣٣). فكان النصر بحق فتحاً كبيراً، أراده الله تعالى ورسوله أن يكون بيد عليعليه السلام وقد أكد الإمامعليه السلام هذه الدلالة من خلال الإشارة إلى المدد الإلهي الذي تقوّى به على تحقيق الفتح، إذ قال ﴿**والله ما قلعتُ باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة إلهية**﴾(٣٤).

وهذا التسديد الرباني موطن عناية الإمام الحسينعليه السلام في إشارته إلى حديث النبيصلى الله عليه وآله في هذا اليوم، أعني يوم خيبر.

ويستدعي الإمام الحسينعليه السلام واقعة أخرى من وقائع أبيه أمير المؤمنينعليه السلام، فيقول ﴿**أتعلمون أنّ رسول الله قضى بينه وبين جعفر وزيد، فقال: يا علي أنت منّي وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي**﴾(٣٥).

لم يشأ الإمامعليه السلام أن يذكر تفاصيل الحادثة لشهرتها، لأنّ ما يريد التأكيد عليه هو ما قاله النبيصلى الله عليه وآله للإمامعليه السلام. بيد أن معرفة التفاصيل تعطينا تأويلاً مقنعاً لما نريده، ونوجز القصة فيما يأتي:

كانت عمارة بنت حمزة مع أمها سلمى بنت حارثة وأراد زيد بن حارثة، وكان وصي حمزة وأخاه أخوة المهاجرين أن يأخذها من الإمام وقال: أنا أحق بها ابنة أخي، فقال جعفر بن أبي طالب: الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس، فقال الإمامعليه السلام ﴿**أنا أخرجتها من بين أظهر المشركين وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحق بها**﴾، فقال الرسولصلى الله عليه وآله: ﴿**أحكم بينكم. أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها، و أما أنت يا علي فأنت منّي وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي**﴾(٣٦).

إنّ التأمّل في قول النبي صلى الله عليه وآله هذا يُغرينا بالقول: إنّ الإمام عليعليه السلام يتوحد مع النبيصلى الله عليه وآله في أمر غير النسب قطعاً، ولو كان المقصود هو النسب فقط لاحتجّ أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وآله بأنّ لهم ما لعليعليه السلام بالنسب.

ومن هنا، فالراجح أن يكون التوحدُ وجدانياً لما بين الاثنين (عليهما الصلاة والسلام) من أواصر المودة، إذ نشأ الإمامعليه السلام في كنف النبيصلى الله عليه وآله قال مصوراً تلك النشأة ﴿... **وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره ويكنفني إلى فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ويُلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خلطة في فعل**﴾(٣٧).

إن قول الإمام عليه السلام هذا يُفسّر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنت مني، فكيف نوجّه وأنا منك ؟.

إن هدف الإمام عليه السلام بالإمامة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده تجعل الخط النبوي محفوظاً بها، فمن أراد أن يعرف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، فعليه أن يتمثلها في سيرة الإمام عليه السلام، إذ حُفظت السيرة النبوية به وطاعة الرسول المأمور بها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ النساء/ ٥٩، طاعة مستمرة في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد رحيله مستمرة في أولي الأمر، وهم أهل البيت عليهم السلام، ولما كانت سيرتهم هي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم كما كانوا هم منه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا نفهم الدلالة التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام من الحديث الذي بسطه في خطبته، لأنّ ما لأبيه عليه السلام – على فضله الكبير – يكون له من حيث ولايته على المسلمين الذين يسمعون هذا الكلام وسينقلونه إلى بلدانهم على وفق وصيته لهم في بداية الخطبة.

ويبقى من الحديث الشريف الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام ﴿**أنت ولي كل مؤمن بعدي**﴾.

إن هذا الجزء من الحديث تكرر في مواطن أخرى، وفي المواطن كلّها جاء مرتبطاً بالسياق الذي يرد فيه، وهنا تكون الولاية التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقاً للإمام عليه السلام على المؤمنين بعده، نابعة مما سبق من الحديث، فما دام الإمام من النبي والنبي منه، فسيكون ما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم له باستثناء النبوة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم بموجب قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأحزاب/ ٦، فتكون هذه الولاية لعلي عليه السلام، واستناداً إلى هذا صار واجباً على من يسمع الإمام الحسين عليه السلام ووصيته هذه أن يكون موالياً للإمام علي عليه السلام بحكم هذه الولاية التي أكدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله هذا، ومن ثم يكون موالياً للإمام الحسين عليه السلام.

ويذكّر الإمام الحسين عليه السلام من حضر في منى ـ أيضاً ـ بمقدار ما أخذه الإمام علي عليه السلام من علم رسول الله، فقال: ﴿**أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله كل يوم خلوة، وكل ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه وإذا سكن أبداه**﴾(٣٨).

إنّ هذه الصفة التي أشار إليها الإمام الحسين عليه السلام، تمثل تميّزاً للإمام عليه السلام وهو ذو شقين:

الشق الأول:

الخصوصية التي يحظى بها الإمام عليه السلام، والمنزلة التي لا يشاركه فيها أحدٌ من الخلق من حيث القرب الروحي، إذ إن الانسجام التام بين النبوة والإمامة جعل الإمام عليه السلام بهذا القرب، ولأن المرتبتين من الله تعالى، فهو جلّ شأنه الذي أمر بهذا كلّه.

أما الشق الثاني:

من تميز الإمام عليه السلام، فهو إن ما يحتاج إليه في حياته من حاجات مادية وروحية، يجدها عند النبي صلى الله عليه وآله الذي يزوده بها في تلك الخلوات اليومية التي يخصّه بها، إذ يُجيبه عمّا يسأل، وإن انتهت أسئلته عليه السلام بادر النبي صلى الله عليه وآله لتعليمه، فصارت علوم النبي صلى الله عليه وآله مجموعة عنده، وقد علم ذلك كلّه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعلمون أيضاً ان النبي صلى الله عليه وآله لا يضع ذلك بغير علي عليه السلام[٣٩]، ويصف الإمام علي عليه السلام هذه التمييز النبوي له بقوله: ﴿**وكنت إذا دخلت عليه في بعض منازله خلا بي وأقام نساءه، فلم يبق غيره وغيري، وإذا أتاني هو للخلوة وأقام من في بيتي لم يقم عنا فاطمة ولا أحد أبناي**﴾[٤٠].

إنّ ما يختص به علي عليه السلام تختص به فاطمة والحسنان عليهم السلام فقط، لأنّهم مطهّرون مصطفَون. ومن هنا صار لزاماً على السامعين أن يتشبثوا بما يدعو إليه الإمام الحسين عليه السلام، لأنه وريث علم النبي صلى الله عليه وآله الباقي، بعد رحيل أبيه وأمه وأخيه، ولم تبق بعد لمن يريد أن يتفلت من واجب التمثل لما يريده حجة، بعد أن ساق هذه الأدلة التي تشهد له بذلك كلّه، وتنير الدرب أمام من يريد أنْ يسير على هديه بعد أن عمّ الظلام طرق المسلمين، ولم يبق أمامهم إلّا الحسين عليه السلام بوصفه الإمام الذي يمثل المنهج النبوي في سيرته.

ويقول الحسين عليه السلام مخاطباً الحاضرين ومتمّماً كلامه السابق ﴿**أتعلمون أنّ رسول الله فضله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة: زوجتك خير أهل بيتي، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً**﴾ قالوا اللهم: نعم[٤١].

يريد الإمام الحسين عليه السلام من هذه الإشارة التركيز على بني عبد المطلب، دون غيرهم ليكشف بعضاً من فضل علي عليه السلام عليهم من هذه الزاوية دون غيرها واختار حمزة سيد الشهداء واختار جعفر بن أبي طالب ذا الجناحين، للشأن الكبير الذي كان لهما في مسيرة الإسلام فيما بعد، ليؤكد أن علياً عليه السلام له فضل عليهما، لأن النبي صلى الله عليه وآله عدّ صفات عنده لم تكن عندهما أصلاً أو لم تكن عندهما بقدر ما كان عند علي عليه السلام، فالسبق في الإسلام لا يشاركه به أحد، إذ صحب النبي صلى الله عليه وآله في مجاورته في غار حراء قبل البعثة، يقول عليه السلام يصف تلك الحقبة ﴿**ولقد كان يجاور في كل سنة بغار حراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا انك لست بنبي**﴾[٤٢].

بيد انّ ثمة أمراً يحتّم علينا أن نشير إليه وهو انّه اختار علي زوجاً لفاطمة، وهو بهذه الصفات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجسّد المكانة العظيمة التي اختصت بها فاطمة ـ عليها السلام. وهذا الاختيار إلهي لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى.

ويأخذ الإمام الحسين عليه السلام من حادثة غُسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه بعد وفاته ركناً من أركان دعوته لمن يسمعه فيقول: ﴿**أتعلمون أن رسول الله أمره بغُسله وأخبره أن جبرئيل يُعينه عليه، قالوا اللهم نعم**﴾(٤٣).

إن إشارة الإمام الحسين عليه السلام هذه تجسّد المكانة العظيمة التي تبوأها علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعدها، إذ خصّه بوصيته، وتجهيزه من جملة هذه الوصية. وحين فارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا تولى علي عليه السلام شأنه في الغُسل والتجهيز، يقول واصفاً هذه الساعة ﴿**ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي فمررتها على وجهي، ولقد وليت غُسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هيمنة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه**﴾(٤٤)، وإشارة الإمام الحسين عليه السلام السابقة تتوحد مع قول أمير المؤمنين عليه السلام، إذ إنّ ذكره لجبريل عليه السلام يعني ذكراً للملائكة، فذكر أقربهم منزلة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتداعى ذكر الآخرين تلقائياً.

ومعونة الملائكة للإمام عليه السلام في غُسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها هو عليه السلام في مناسبة أخرى فقال ﴿... **فكان الفضل وأسامة يناولني الماء من وراء الستر، وهما معصوبا العين، قال علي: فما تناولتُ عضواً إلّا كأنّما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغتُ من غُسله**﴾(٤٥).

أما سماع الإمام عليه السلام لضجيج الملائكة من دون أن يغيب عن سمعه أي صوت خفي من أصواتهم، فيجسد المقام الرباني الذي بلغه عليه السلام، وهذا عينه ما أرداه الإمام الحسين عليه السلام، من خلال التذكير بالحادثة التي تروي تفاصيلها من بقي من الصحابة حيّاً إلى زمانه، ويرويها التابعون عن الصحابة. ومن هنا كانت إجابة من حضر منهم عن استفهام الإمام الحسين عليه السلام ((اللهم نعم)).

ويختم الإمام الحسين عليه السلام خطبته التذكيرية في (منى) بسؤاله التقريري الأخير، وهو قوله ﴿.. **أتعلمون أنّ رسول الله قال في آخر خطبة خطبها إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسَّكوا بها لن تَضلّوا**﴾(٤٦).

إن ختم الإمام الحسين عليه السلام لخطبته بهذه الإشارة يُفصح عن معانٍ يمكن أن نتاولها فيما يأتي:

إن ذكره الصريح بأنّ حديث الثقلين ورد في الخطبة الأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئ إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل قوله هذا وصية يجب على المسلمين التمسك

بها، فليس فيها موضع لاجتهاد، بعد أن اقترب رحيله عن الدنيا، يقول ابن أبي الحديد ((... فكأنه لما شارفَ الانتقال إلى جوار ربه، جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه، لأنهما أخص الأشياء به))[٤٧].

وهذه الخصوصية التي يشير إليها ابن أبي الحديد، مردّها إلى الله تعالى الذي لم يشأ أن يجعل المسلمين يتأوّلون الثقل الأكبر، كل على وفق ما يراه، وإنما أمرهم بالتمسك بالثقل الأصغر بعد الثقل الأكبر. لأنّ معرفة ما في القرآن عندهم، والاثنان يتعانقان لينيرا للمسلمين دروبهم.

وظني إن ما كان يراه الإمام الحسين عليه السلام في عصره من سيطرة دياجير الظلام على المسلمين، لبعدهم عن الثقلين، نبههم هذا الجزء من خطبته إلى وجوب التمسك به، لأنه يجسد الثقل الثاني بعد القرآن الكريم.

وفي الختام نقول: إن الإمام الحسين عليه السلام في خطبته في جموع الحجاج في منى أراد أن يعيد إلى أذهان المسلمين ما ندّ عنها من وجوب نصرة أهل البيت عليهم السلام والسير على هداهم، من خلال التذكير بفضائل الإمام علي عليه السلام التي تشكل المنهج الرباني الذي جعله الله تعالى سبيلاً للمسلمين من أجل الوصول إلى رضوانه. ومن هنا كان ذكر الفضائل هو ذكر لقواعد الدين القويم، وذكر للمعاني التي جسّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم ذكر لفضائله هو ـ أي الحسين ـ بوصفه الوريث الحي من أهل البيت عليهم السلام الذين أوجب الله طاعتهم على المسلمين، وبهذا كله أزال عن عيون من يستمع إليه ومن يصل إليه كلامه الغمامة التي أربكت نظر بعضهم فلم يعد قادراً على التمييز بين الحق والباطل، أو لم يشأ أن يكون كذلك لخوف من سلطان أو لطمع في دنيا أو لقصور معرفة. فجاءت هذه الخطبة لتوضح الحق لمن قصرت معرفته، فلا تبقى له حجة بها أمام نفسه أو أمام أصحاب الحق.

الهوامش

١. كتاب سليم بن قيس ٣٢٠.
٢. ينظر عن دلالة الآية مثالاً لا حصراً التبيان ٩/ ١٥٨، مجمع البيان ٩/ ٣٥ وما بعدها، الميزان ١٨/ ٤٢ وما بعدها.
٣. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٠.
٤. م، ن: ٣٢١.
٥. م، ن.
٦. كشف اليقين ٢٥٢، بحار الأنوار ٢٨/ ٣٦٨.
٧. التبيان ٩/ ٩٤.
٨. تفسير القمي ٢/ ٣٥٦.
٩. الكافي: ١/ ١٩٦، ٤٣٢.
١٠. ينظر: الطراز: ٣/ ١٦٠.
١١. كتاب سليم بن قيس: ٤٣٢١.
١٢. أمالي الصدوق ٤٢٤.
١٣. كتاب سليم بن قيس: ٣٢١.
١٤. ينظر: البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٣

١٥. ينظر: بهجة المحافل ١/ ١٥٥، البداية والنهاية: ٣/ ١٩٩، تاريخ الإسلام: ١/ ٢٢١.

١٦. ينظر: مناقب أمير المؤمنين: ٢/ ٤٦٠، المسترشد: ٤٤٨، شرح الأخبار: ٢/ ١٧٧.

١٧. كتاب سليم بن قيس: ٣٢١.

١٨. ينظر: لسان العرب (رجس).

١٩. الفصول المهمة: ٢/ ٢٧.

٢٠. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٢١. ينظر: لسان العرب: (ولي).

٢٢. أهل البيت في نهج البلاغة: ١٠٦.

٢٣. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٢٤. ينظر: معاني الأخبار: ٧٥.

٢٥. ينظر: الحديث كاملاً في أمالي الصدوق٥٠، مناقب أمير المؤمنين: ١/ ٤٩٠، بحار الأنوار: ٢٩/ ٨٢.

٢٦. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٢٧. خصائص الوحي المبين: ١٣٤.

٢٨. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٢٩. الكشاف: ٣/ ٤٦٧، وينظر: العمدة: ٤٥، تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٥، الرسالة السعدية: ٢٢.

٣٠. ينظر: أهل البيت في نهج البلاغة: ١٢٠-١٢٦.

٣١. ينظر: رسائل المرتضى: ٤/ ١٠٤.

٣٢. رسائل المرتضى: ٤/ ١٠٤.

٣٣. ينظر: تفاصيل المعركة في تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٦، اعلام الورى: ١/ ٢٠٧.

٣٤. شرح نهج البلاغة: ٥/ ٧.

٣٥. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٣٦. تنظر تفاصيل الحادثة في تهذيب الكمال: ٥/ ٥٤، البداية والنهاية: ٤/ ٢٦٧، بحار الأنوار ٢٠/ ٢٧٣.

٣٧. نهج البلاغة: ٢/ ١٥٧.

٣٨. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٣٩. ينظر: الاعتقادات: ١٢.

٤٠. الاعتقادات: ١٢.

٤١. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٤٢. نهج البلاغة: ٢/ ١٥٧.

٤٣. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢.

٤٤. نهج البلاغة: ٢/ ١٧٢.

٤٥. المسترشد: ٣٣٧.

٤٦. كتاب سليم بن قيس: ٣٢٢

٤٧. شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٧٢.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاعتقادات، الشيخ الصدوق ت ٣١٨هـ، تحقيق عصام عبد السيد، منشورات دار المفيد، قم، إيران.

٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي (الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

٤. أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ، قم، إيران.

٥. أهل البيت في نهج البلاغة / قراءة تأويلية، د. حاكم حبيب الكريطي، منشورات مركز كربلاء للدراسات والبحوث/ الأمانة العامة للعتبة

الحسينية المقدسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٦. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.

٧. البداية والنهاية، ابن كثير ت ٧٧٤هـ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، بيروت، لبنان.

٨. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبي بكر الحرضي ت ٨٩٣هـ، دار صادر، بيروت.

٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية.

١٠. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ت ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١١. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١. تفسير الرازي ـ مفاتيح الغيب، الرازي (فخر الدين محمد بن عمر التميمي ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ط١.

١٣. تفسير القمي، القمي (علي بن ابراهيم ٣٢٩هـ)، تصحيح السيد طيب الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، قم، ١٤٠٤هـ.

١٤. تهذيب الكمال، المزّي (أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ.

١٥. خصائص الوحي المبين، ابن البطريق (شمس الدين يحيى بن الحسن ت ٦٠٠هـ)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ، تحقيق السيد مهدي رجائي، دار القرآن الكريم، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ.

١٧. الرسالة السعدية، العلامة الحلي ت ٧٢٦هـ، تحقيق عبد الحسين محمد علي بقال، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط١، ١٤١٠هـ، قم، إيران.

١٨. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي المغربي (النعمان بن محمد التميمي المغربي ت ٣٦٣هـ) تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم، إيران.

١٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ت٦٥٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٠. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، العلوي (يحيى بن حمزة العلوي ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢١. العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)، ابن البطريق، تحقيق جماعة المدرسين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٢٢. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي ت ١١٠٤هـ، تحقيق محمد بن محمد حسين القائيني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٨هـ.

٢٣. الكافي، الشيخ الكليني ت ٣٢٩هـ، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٢٤. كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي ت ق١، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني، د.ت.

٢٥. الكشاف، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٦. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، العلامة الحلي، تحقيق حسين الدركاهي، ط١، ١٤١١هـ.

٢٧. لسان العرب،ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٤٦٠هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلم للمطبوعات، ط١، ١٤١٥هـ، بيروت، لبنان.

٢٩. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ط١.

٣٠. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ، تحقيق علي أكبر الغفاري، الناشر انتشارات إسلامي، ١٣٦١هـ.

٣١. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي ت بعد سنة ٣٠٠هـ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٢. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطائي ت ١٤٠٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم، إيران.

٣٣. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضي، تحقيق محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.